المحاضرة الأولى

دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر وتطور نظام الحكم

عاشت بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 15م و16م انقسامات كبيرة في جميع الجوانب سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وركودا حضاريا حادا، وانقسمت في حد ذاتها إلى دويلات صغيرة متفككة ومتصارعة فيما بينها، فما تكاد تقوم دويلة من هذه الدويلات إلا وتصارعها أخرى على الحكم وتسقطها، وتظهر إمارة على أنقاض إمارة أخرى ومتنازعين على من يتولى السلطة والسيطرة على المنطقة، وهذا التشتت والانقسام جعل من المغرب العربي فريسة سهلة للأطماع الاستعمارية الأوروبية خاصة الإسبان والبرتغال.

والشيء الذي لاجدال فيه هو ان دول منطقة المغرب العربي قد أنهكتها الحروب الداخلية والخارجية في القرن الخامس عشر الميلادي، وخاصة بعد نكبة الأندلس وانهيار الحضارة العربية الإسلامية بتلك المنطقة المجاورة للمغرب العربي، فالإسبان والبرتغاليون الذين كانت عندهم أساطيل بحرية عملاقة لم يكتفوا باضطهاد المسلمين في بلدانهم وإجبارهم على الخروج من تلك البلدان أو إعتناق الديانة المسيحية، بل قاموا بعمليات انتقام ضد سكان المدن المغربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، الذين استقبلوا العرب الفارين من الاضطهاد الأوروبي في إسبانيا...وعليه فإن الاعتداءات الإسبانية والبرتغالية هي التي دفعت بالأخوين العثمانيين عروج وخير الدين إلى التصدي إلى الغارات الإسبانية على بلاد المغرب العربي ووضع حد للقرصنة الأوروبية(1)

وفي الحقيقة أن سكان مدينة الجزائر وتلمسان وبجاية قد طلبوا مساعدة عروج وخير الدين للتخلص من الخطر الإسباني المحدق بهم لأنهم أدركوا بأنهم غير قادرين على مواجهة الجيوش المسيحية، وذلك بسبب ضعفهم وصراعاتهم الداخلية وعندما نجح عروج وشقيقه خير الدين في قهر القوات الإسبانية وإلحاق هزائم متوالية بها، حاول الحكام الضعفاء أن يقوموا بمحاولات للتخلص من عروج وخير الدين وذلك بتحريض من الإسبان، ولكن خير الدين وعروج تفطنا لهذه الحيلة، وقرروا التخلص من كل حاكم محلي يسعى لتقليص نفوذهما في الجزائر(2)

نظام الحكم العثماني في الجزائر ومراحل تطوره:

امتد الحكم التركي للجزائر من عام 1518م إلى غاية تاريخ الاحتلال الفرنسي سنة 1830م، وقد عرفت فترة حكم العثمانيين بأربعة عهود رئيسية مثلت منحى وسياسة حكمهم المتبعة في الجزائر وتميز كل عهد أو مرحلة منها بأسلوب معين في تسيير شؤون البلاد.

عهد البايلربايات (1518-1587):

وتعد فترة حكم البايلربايات من أبرز عصور الحكم التركي في الجزائر وأهمها، حيث ازدهرت وتطورت الحياة لدى السكان من عدة جوانب منها التعليمية، والاجتماعية، والعمرانية، والاقتصادية، وذلك من خلال إدخال العثمانيين لثقافتهم وتعليمهم وخبراتهم لسكان المنطقة، كما ساهم مهاجرو الأندلس في ازدهار البلاد الذين وظفوا بدورهم خبراتهم في ترقية المهن والعمران والتعليم وغيره.

ودام عصر البايلربايات نحو 70 عاما كانت خلالها السلطة في يد الرياس وجنود البحرية، وامتازت هذه المرحلة بالقوة الداخلية وتوطيد ركائز الحكم وتوحيد البلاد وتشييد المساجد وبناء الحصون والقصور والمدارس، وامتلاك أسطول بحري قوي أصبح يفرض الإتاوات والضرائب على الدول الأوروبية مقابل حمايتهم في البحر الأبيض المتوسط.

وقد قسمت الجزائر في ولاية البايلرباي **حسن باشا ابن خير الدين** إلى 4أقاليم:

-بايلك الجزائر ومركزها الجزائر.

-بايلك الشرق ومركزها مدينة قسنطينة.

-بايلك التيطري ومركزها مدينة المدية.

-بايلك الغرب ومركزها مازونة ثم معسكر ثم وهران.

عهد الباشوات(1587-1659):

وقد جاء هذا التغيير في نظام الحكم بسبب كثرة النزاعات التي قامت بين طبقة الرياس وجنود الإنكشارية، فأراد السلطان العثماني **مراد الثاني** التخفيف من حدة الصراع بإلغاء رتبة البايلربايات واستبدالها **برتبة الباشا** ، وتميزت هذه المرحلة من حكم العثمانيين بالجزائر بتعيين **باشا كل 3 سنوات**، ويرسل من تركيا ويعود إليها بإنتهاء فترة حكمه، ويعين باشا في كل من الجزائر وتونس وطرابلس، عكس عصر البايلربايات التي كان لها بايلرباي واحد مقره الجزائر، وبهذا أصبح للباشوات أطماع مالية أكثر منها الاهتمام بشؤون الشعب والرعية، وانصرافهم إلى جمع الثروة قبل انتهاء مهامهم جعل من الجيش البري يثور ضدهم، ويضعفوا قوتهم ونظام حكمهم في الجزائر، كما ظهر نوع من التصادم بين جنود البحرية أو الرياس وجنود البرية لما كان لجنود البحرية من امتيازات وغنائم، وهذا الصراع راح ضحيته الشعب الجزائري حيث تدهورت ظروف حياتهم، بسبب تخلي الباشوات عن الاهتمام بشؤون الرعية ومصالحها.

عهد الآغاوات(1659-1671):

عرف عصر الآغوات في الجزائر اضطرابات سياسية واقتصادية وأمنية كبيرة، ودام فترة قصيرة من الزم، حيث كان يعين الآغا كل شهرين من طرف الديوان بعدما كان يعين من طرف السلطان العثماني خلال عهد البايلربايات والباشوات، وبهذا اضمحل التواجد العثماني ونفوذه في الجزائر وسيطر جيش الانكشارية على الحكم، وقطع السلطان العثماني كل امداداته ومساعداته عنها وانفصلت الجزائر عن حكم العثمانيين، إلا أنها شهدت صراعات داخلية بين ضباط الجيش البحري والجيش البري، وعرفت فسادا سياسيا كبيرا خلال مرحلة حكم الآغوات وساءت أحوال الشعب في شتى جوانب الحياة.

عهد الدايات(1671-1830):

تمثل فترة حكم الدايات آخر مرحلة من مراحل التواجد العثماني في الجزائر، وكانت أول الأمر تحت تصرف **الريّاس** حيث أن الدايات الأربع الأوائل كانوا من **فئة الجيش البحري**، ثم عادت إلى جيش الانكشارية وذلك بسبب الحملات الأوروبية على السواحل الجزائرية، والأضرار التي ألحقتها بالأسطول البحري وبمركز الرياس، وتميزت فترة حكم الدايات بالدور البارز للرياس في تأسيس حكم الداي، والذين عملوا على تقليص نفوذ الديوان والجيش البري قبل ضعفهم.

وعرفت هذه الفترة استقرارا سياسيا ملحوظا وتحسنا في أوضاع الشعب الجزائري وانتشار الأمن والاستقرار، وما يدل على ذلك طول فترة حكم الدايات والتي تعتبرمرحلة الاستقلال الحقيقي للجزائر عن الدولة العثمانية في تسيير الشؤون الداخلية والخارجية.